الاغتراب العاطفي في يتيمة ابن زريق البغدادي

حسين صلاح الدين حسن سعيد
hu8899iraq@gmail.com
جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

لا ندري كيف نجري أو يجرى التحليل بطباعنا أم بطباع من نريد دراسته، وفي هذا اللبس الذي ينبثق عن تصورنا أو تصور الآخر لا يمكن أن يتم الأمر على موازنة تامة خاضعة لميزان دقيق، وإنما الاحتلال في التفكير وفقدان لكلِّ اكسير يعزل هذا الطرف عن الآخر، لأنّ الاغتراب قطع الحكم حتى بات الحكم هو الآخر غريباً لكلِّ طرف فأي زمام يقود مسيرة العقل، فلي بغرائب الحديث ما يغنينا.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، العاطفة، أحاسيس، بغداد.

Emotional Alienation in Ibn Zurayq Al-Baghdadi's Orphan

Prepared by the student

Hussein Salah El-Din Hassan Saeed

Kirkuk University/ College of Education for Human Sciences

Abstract

We do not know how to conduct or how to conduct the analysis according to our nature or according to the nature of the one we want to study, and in this confusion that arises from our perception or the perception of the other, the matter cannot be done on a complete balance subject to a precise scale, but rather the occupation in thinking and the loss of every elixir isolates this party from the other, because alienation has cut off the rule until the rule has become the other strange to each party, so what rein leads the path of the mind, I have in the strangeness of the talk what suffices us.

Keywords: Alienation, emotion, feelings, Baghdad.

الاغتراب العاطفي:حين نسلط الضوء على محك الاغتراب العاطفي تحليلاً وتناولاً في تلافيف تلك اليتيمة العصماء لابن زريق البغدادي ينبثق الإبداع من خلال صراع الوداع بين دخيلة ابن

زريق الممزقة اغترابا من الداخل وبين تلك المدامع التي تودعه – قمر بغداد وجانب الكرخ – بآلام زافرة تحترق وتحرق عشقا في نفس المودع ، وقد نشأ هذا العشق بدافع الرحيل الذي أدى ويؤدي (إلى تأجج الصراع الداخلي في نفس العاشق فيحاول افراغه من خلال تسليط الضوء على بعض مثالب الناس في سعيهم إلى اسقاط براءة تلك العلاقات) وذلك حين ظهور (القيود والحواجز التي من شانها تفريق الاحبة وتشتيت شملهم)[١] ، ومن هذا المحور الذي اقام القيود يأخذ نحو (الاغتراب داخل نفس الشاعر العاشق والذي يؤدي به إلى الانفصال عن الذات أو الآخر المتمثل في الشخص أو الجماعة والوطن وربما العالم كله، ذلك ان الاغتراب على وفق التحليل النفسي حالة من حالات الصراع النفسي التي ربما تؤدي إلى فقدان الهوية أو حتى الشعور بالاختلال)[٢]

ويبدأ الاختلال في علاقة الذات بواقعها بما يفقد من تكيف الانسجام بعدما يستحوذ العامل النفسي في تنمية عاطفة الإنسان ثم يؤججها داخل متاهات وعثرات في خلق محك من اليأس والطعن في الأمل حتى تبدو نظرات ظلمة دامسة في بصيرة الإنسان الذي لا يرى الا السوادية في بياض الأفق، والعمى في الطرق الممهدة، وهذا الشأن بارز عند ابن زريق البغدادي الذي يتمته الغربة حتى وقع مصيدة العثرات والحرمان في قراره الابتعاد عن حبيبته – زوجته – وعن بغداد وكرخها:

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعهُ
ودّعتهُ وبودّي لو يودّعن ي صفو الحياةِ وإني لا أودّعه
وكم تشفّع أني لا أفارقهُ وللضرورات حال لا تشفعهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ[٣]

بدأ الرحيل بعد شهقة تطلق حرقة من زفير ، فهو يترك حبيبته – قمرا – في الكرخ واصفا ذلك الجمال الأخآذ في المطلع الجميل والبهي وقد أخذه الشوق (ويعد الشوق من أولى الصفات التي يعبر بها الشاعر عن لوعته وما يكابده من الم الفراق ، إذ غدا الشعراء يصورون لوعتهم وحنينهم لأحبابهم بوسائل عديدة ، فيرى علماء النفس أن من مظاهر الاغتراب العاطفي أن يساير الشاعر شعور بالألم والحزن واليأس وأحياناً الإحساس بالعجز أو العزلة الاجتماعية ، وقد يساير شعور بالقلق والاغتراب)[٤]

(١) إبراهيم، احمد علي، الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ، بغداد ، ٢٠١٣م ، ص١٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٩.
(٣) إبراهيم، احمد علي، الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، مصدر سابق، ٩٦
(٤) طلبة، منى، ظاهرة الاغتراب في الشعر الوجداني الحديث في مصر ، رسالة ماجستير ، ص١٣.

ونظرا لميزة (الطبيعة العاطفية للرجل فانه يلجأ للتعبير عن حزنه والمه ولوعته بفيض من الكلام الحزين، على خلاف المرأة التي تنفس عن ذلك بالبكاء والنشيح والدموع الساخنة وذلك لقابليتها على البكاء فضلاً عن ضعفها العاطفي والتي تجعلها تستنفذ كل طاقة للتعبير المختزنة في قلبها)[١] وقد تشفعت حبيبة ابن زريق به :

وكم تشفّع أني لا أفارقهُ وللضرورات حالٌ لا تشفعهُ

فإن الضرورات أشد على النفس تحول بين ابن زريق وشفاعة توأم روحه – قمر بغداد (حبيبته) – فحنين ابن زريق في جوهره النفسي والعاطفي حنين المغترب .... وصدق تلك الآصرة الجوهرية تجسيد للمرأة بمكنوناتها النفسية والمعنوية وهيأتها الجسدية ، فهي ينبوع الحب والحنان والاستمرار الروحي ، فمشاعر الغربة تتسع عبر سلوك المرأة وأفعالها وما يخلفه بُعدها وقربها من اثر نفسي، ثُم لشدة الصلة بهذه الحبيبة بين جوانحه تظل تتمسك به حتى لا يرحل وبينها دموع تتساقط على أرض الرحيل لتنبت نباتا في أقانين من أنين :

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ

وهذه المدامع المستهلات على توازن بين الطرفين تعدُّ تسليماً واضحاً لكلِّ طرف إلى الطرف الآخر (إن الإنسان من خلال يستبعد كل ألوان التناقض والتضاد القائمة بين الأفراد ويتطلب تسليماً تاماً ، أي يسلم كل من المحب والمحبوب ذاته إلى الآخر ويتجاوز فرديته حتى يحقق الاتحاد الكامل لا أن ينظر أحدهما إلى الآخر على صاحب ملكية ومدفوعا بدوافع ميتة ، لأنّ هذه الدوافع سوف تحول دون اتحادهما)[٢]، وهكذا لم يفد التشبث يوم الرحيل فجاءت ادمع الفراق للفصل بينهما إلى الأبد.

نقول: إن الشعر الوجداني بخاصة تعبير عن طبيعة تفاعل روحي بين الشاعر ومجتمعه من الجانب السياسي والاجتماعي والعاطفي وما ينشأ عن ذلك من تلاؤم أو تنافر أو شعور بالانتماء الذي يعقبها الرضا والرفض والشعر الوجداني – العاطفي – أو الغنائي ما برز إلا من خلال التقليد الذي اتخذ اللاحق من السابق حجراً بنى عليه دار القوافي وقطع اللبنة تلو اللبنة لإنتاج القصيدة التي تعد خيمة تستظل في فنائها دلالات المعاني ومقاصد الأفئدة واسرار التلقي حتى ذهب البعض إلى القول (التقليد في الأدب ما هو إلا كذب يمارسه الشاعر حيث يصدر عن ذلك العرض الجاري وليسعن القناعة المطلقة بذلك ، ومثال ذلك بكاء الشاعر على الاطلال التي لم يحس بها وحديثه عن الصحراء التي لم يشاهدها)[٣] وقد لا يستطيع الإنسان

(١) الحوفي، احمد محمد، الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٤٢٥ ، الخطيب، بشرى، والرثاء في الشعر الجاهلي ، ص١٢٩.

(٢) رجب، محمود، الاغتراب ، مصدر سابق، ١٤١/١ – ١٤٢.

(٣) تطور الخمريات ، ص٢٥.

شاعراً كان أم غير شاعر من البوح بكل ما عنده ، لأنّ كثيراً من القيم قد أصيبت بهزات عنيفة ، وهنا يقول الناقد والفيلسوف (شاخت) عن الشاعر في ظل التغييرات يعود (نتيجة احساسه بالاهتزاز كثير من القيم السابقة السليفة التي الفوها وتأثروا بها)[١]

ومن هذه الفقرات يمكننا ان نقول في الاغتراب العاطفي: هو الدوران في (تجربة الحب المقرون بالفشل أو اللوعة أو الحرمان جراء الحدود والأعراف التي فرضتها الظروف المختلفة بصرف النظر عمل خلفه ذلك من تبعات سلباً كانت أم إيجاباً ، وإزاء هذا نجد انفسنا أمام تساؤلات تفرض نفسها ، هل المغترب رفض واقع مجتمعه؟ أم إن مجتمعه هو الذي رفضه؟ أو إن هناك رفضا متبادلا بين الطرفين؟ وما هو الدليل الذي قدمه المغترب نتيجة لفقدان هذه العلاقة؟ هل انطوى المغترب عاطفياً على نفسه حين أخفق في التكيف مع أوضاعه الاجتماعية؟ أو كان هناك شعور باللامبالاة وعدم الانتماء.

حين تسليط الضوء على واقع المغترب من الجانب الوجداني العاطفي نجد ان المغترب عاطفياً سلك مسلكا يرضى به المجتمع لا نفسه ، وهنا اغترب عن ذاته لأنه سخّر عاطفته لغيره، فالاغتراب يحدد هنا بأنّه ابداء اللامبالاة بالذات أو العداء لها أو عدم الاكتراث بمشاعرها[٢] ثم إذا كان الحب يحقق وحدة القلوب لأنّ الإنسان من خلاله (يستبعد كل ألوان التناقض والتضاد القائمة بين الافراد ويتطلب تسليما تاما ، أي أن يسلم كل من المحب والمحبوب ذلك إلى الآخر ويتجاوب صاحب قلبه مدفوعاً بدوافع ميتة لأنّ هذه الدوافع سوف تحول دون اتحادهما)[٣] ، وابن زريق كان شديد الحب لزوجته وهي الأخرى متشبثة به اشد التشبث :

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ[٤]

صلة متينة بين الطرفين وكل متشبث بالآخر ، إلّا أنّ الضرورة لها أحكام في الاغتراب، رغم هذا التشبث الشديد.

وكم تشفع أني لا أفارقهُ وللضرورات حالٌ لا تشفعهُ[٥]

وهذا التشبث الشديد من الأعماق أشبه بالتشبث الصوفي حول المريد في حلقات العشق ، والإغراق في التأمل في تحويل الطاقة الولائية إلى من طقة الإبداع في الانسجام مع ضرب الدفوف على محك الولاء في صومعة الخلوة لأنّ (الجهد الفني في تحويل الطاقة الحيوية من طقة الغرائز إلى من طقة الفن فيه توكيد لذاته واستعاضة عما يصيبها من صدمة الفشل

(١) شاخت، الاغتراب ، مصدر سابق ، ص٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٦

(٣) رجب، محمود، الاغتراب ، مصدر سابق، ١٤١/١ – ١٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ٩٦

(٥) المصدر نفسه ، ٩٦

والحرمان)[١] وقد صور ابن زريق بأعماقه التي ترى أحداث المستقبل والمشاعر يرى ان هذا التشبث هو الوداع الأخير :

ما آبَ من سفرٍ إلّا وأزعجهُ رأى إلــى سفرٍ بالعزم يجمعهُ[٢]

فهو تعب لا يقوى على المضي في رحلته ومسلم امره للقضاء ، فهو مرتحل لا مناص في ترحاله :

كأنما هو من حلّ ومرتحلٍ موكّلٌ بقضاء اللهِ يذرعهُ

إذا الزمان أراهُ في الرحيل غنى ولو إلــى ألسندِ أضحى وهو يزمعهُ[٣]

ومهما كانت قوة النهي التي استلهمت بها القصيدة فإنّ ابن زريق يزداد اغترابا إزاء هذا النهي ، بل يرضخ لسماعه ، فإذا كان هذا الاستهلال الذي بدأ به الاغتراب العاطفي ، فإنّ نهاية القصيدة من خلالها يلفظ الشاعر أنفاسه الأخيرة في ظل قضاء ينتظره ولن يمهله استقداماً أو تأخيراً فهو في مستهل اليتيمة يقول

لا تعذليه فإنّ العذل يولعهُ قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعه[٤]

وهذا الاستهلال الزريق ي الذي يزيده العذل اغراء يولعه بالاستقدام على ما هو موضع العذل واللوم بما يشبه موقف أبي نواس فيمن عذله ولامه على شرب الخمر فازداد شرباً من كأس عذاله وسكر على مائدة اللوم بقوة واغراء :

دع عنك لومي فإنّ اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها لو مسها حَجَرٌ متنهُ ستراءُ[٥]

ثم ينهي ابن زريق يتيميه :

وإنْ تنلْ أحداً منا من يّته فما الذي بقضاء اللهِ يصنعهُ[٦]

أسلوب واضح سلس بلا منافذ مغلقة ولا غموض، إلّا أنّ هذا الوضوح له لوطة في القلب وعلوق بالنفس تمتزج أفكاره بنياط الافئدة تعزف بآثاره في النفس وقد عبر عنه الحس الشعري في قيثارة مقطوعة أسى ولوعة وألماً.

وقد كان ابن زريق يأمل اللقاء مرة أخرى إلّا أنّ هذا الأمل ضعيف يرفضه واقعه وما يرى الشاعر ويستشف في الحدث، وهذا مما يزيد في معاناته ثُم من اغترابه لأنه اغترب عاطفياً

(١) الحياة العاطفية والصوفية ، ٣٩

(٢) المصدر نفسه ، ٩٥

(٣) المصدر نفسه ، ٩٥

(٤) الحياة العاطفية والصوفية ، ٩٤

(٥) أبو نؤاس، ديوان أبي نواس ، تحقيق : سليم قهوجي ، ص٢٥

(٦) المصدر نفسه ، ٩٨

عن انسه وعرسه ورفيقته الوحيدة التي تشبه قصيدته اليتيمة ، فكل شيء ذاهب إلى غير رجعة ، فالمتعة ذهبت ولن ترجع فقد دُرست الآثار وأصاب المواضع الخراب والروح تنتظر الخروج ولا محالة خارجة :

باللهِ يا منزلَ القصف الذي دُرستْ آثارهُ وعفت مذ غبت أربعهُ
هل الزمان مُعيدٌ فيك لذتنا أم الليالي التي أُمضتهُ ترجعهُ
في ذمةِ اللهِ من أصبحت من زله وجاد غيث على مغداك يمرعهُ[١]

مرارة صراع تطفو على مسرح الحدث، إذ فشل التحدي في تحقيق الضرورة لتامين الاستمرارية وسط موج المجتمع المتلاطم الذي فقد التوازن في التقاليد والأعراف ، ليبدأ صراع مع الياس والضياع وشعور بالاختلال حين فقدان الموازنة.

فالصراع العاطفي صراع داخلي بين طرفين يتشبث كل بالطرف الآخر ، وحين يعمل هذا الصراع على محك من الياس فهذا يعني الانفكاك والانفصال لظرف يفرض نفسه على طرف يتراجع القهقري رغما عنه ، وهنا يولد ما هو مقرون بعاطفة مشوبة (باللوعة والحرمان تبعاً للظروف المحيطة وطبيعة التكوين النفسي والاجتماعي للشاعر إذ تبدو التجارب الذاتية ذات أثر في توجيه تفاصيل التعامل مع افرازات واقعه النفسي المتأزم ، فالشعر العربي ما هو إلا الانعكاس لطبيعة التفاعل الروحي بين الشاعر ومجتمعه حين تتشابك الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتشكل ذلك التفاعل ، فالشعر لا يعدو أن يكون صياغة فنية لتجربة شعرية مميزة تحاول أن تنقل لنا الواقع ولكن بمنظار آخر ، فالغريب من لا حبيب له والذي يرفضه الحبيب أو يفقده اشد اغترابا لأنّ فقد الأحبة عزبة)[٢]

فابن زريق من هنا تبدأ مأساة غربته ويبدأ وداع الفراق الذي أمسى أبديا – فيما بعد – لقد حاولت بكل الحيل والحجج ثنيه عن الرحيل ، ولكن كان القدر قد رسم خطه إلى سبيل لا رجعة منه :

استودع في بغداد لي قمراً بالكرخ فلك الازرار مطلعهُ
ودّعتهُ وبودّي لو يودّعن ي صفو الحياةِ وإني لا أودّعه
وكم تشفع أني لا أفارقهُ وللضرورات حالٌ لا تشفعهُ
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتٌ وأدمعهُ
لا أكذّب اللهَ ثوب العذر من خرق عن ي بفرقته لكن أرقعهُ
إني أوسع عذري في جنايتهِ بالبين عنه وقلبي لا يوسعهُ[٣]

(١) أبو نؤاس، ديوان أبي نواس ، تحقيق : سليم قهوجي ، مصدر سابق، ٩٨
(٢) الاصفهاني، أبو نعيم، حلية الاولياء ، ١٣٤/٣.
(٣) الاصفهاني، أبو نعيم، حلية الاولياء، ٩٦ – ٩٧

ومما يزيد الاغتراب لوعة وحرقة في قوافي هذه اليتيمة التي تركها ابن زريق هما عدم اكتراثه لتلك الزوجة المخلصة التي تشبثت به ورضيت ان تعيش معه على شظف العيش ، ومرارة العدم والفقر ونار العوز والجوع ، ولكن ابن زريق كانت وجهته أن يبني أحلاماً أخرى ولكن هيهات فالبعد منها أودع فيه كل عوامل السلب والندم حتى ندم عليها في اغتراب عاطفي لامثيل له يقوله

أُعطيتُ مُلكاً فلم أُحسن سياستهُ كذلك من لا يسوس الملك يخلعهُ

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر الإله فعنه اللهُ ينزعهُ[١]

إن تأملاً في البيتين يورد أسئلة على محك من إجابات واضحة ، فهو – ابن زريق – كان قد استقر في رحلته في بقع بعدما قطع الفيافي والمسافات والاحياء لأجل هدف مادي كان يحلم به ، ويبدو أنّه امضى مدة طويلة لغرض الوصول إلى هذه البقعة – البلدة – وحين أصابه اليأس استشعر بأن من يته دنت ، وهنا اخذ يسترجع حالات بدأ بها ومر بها ، واولى تلك الحالات انه عجز عن إدارة رفيقة دربه (فلم أحسن سياسته) – نعم – لم يحسن سياسته وهذا يعني انه كان ممكنا لو صبر قليلا لأثمر صبره عن شيء ، ولكنه بعد فوات الأوان أحسن بأن ثمرة فؤاده وحبيبته انتهت صلته بها ، فهو مقبل على الهلاك لا محالة ، ويدل البيت على انه اخذ يشعر بإرهاق شديد لا يرجى شفاؤه منه ثم يزداد لظى واحتراقا وهو مغترب إنه كان سبباً في ذهاب النعيم الذي البسه إياه الله تعالى، ولكن لم يشكر الله على تلك النعمة فانتزعت عنه تلك النعمة.

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر الإله فعنه ينزعهُ الله[٢]

وفي تلك الكلمات التي قام البيتان على بنائها افصاح واضح وإقرار أكثر وضوحا بأن ابن زريق البغدادي كان هو سبب تلك المأساة التي نجمت عن تلك النهاية في الاغتراب، فهو بمفرداته التي جاء فمنها تكوين الشعر لمفردته، قد انتقى ألفاظ واضحة الدلالات والمعاني وإخراج حبيبته ومنحها صك البراءة فيما حدث.

كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعهُ[٣]

فهو المسؤول أولا وأخيرا عما حدث بشهادة هذه القصيدة اليتيمة، ثم يقسم (والله) من دون أن يتهم زوجته في دفعه إلى هذه الرحلة القاسية والمأساوية، وإنما الذنب ذنب ابن زريق لا يدفعه (لست ادفعه) فأخذت النظرة السوداوية تستحوذ عليه وتهيمن على رؤياه حتى احس بالضياع

(١) المصدر نفسه ، ٩٧

(٢) الاصفهاني، أبو نعيم، حلية الاولياء ، مصدر سابق ، ٩٧

(٣) المصدر نفسه ، ٩٧

من دون أن يستطيع إذلال ما في طريقه، فهو مهزوم من الداخل كلياً وقد أصابه الانهيار، ويبدو أنّ الهزال نال منه فاخذ يموت ببطء بعدما تصدع قلبه.

ومن يصدع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبهِ ذكرى يصدعهُ[١]

فإذا كانت الذكرى تقرب من نزحا، فالحالة عند ابن زريق مختلفة فالذكرة تصدعه من الداخل، فقد قطع المسافات إلى بلد بغية ان تقطع له صلة ومال إذا به يزداد حسرة حتى تقطع قلبه:

إني لأقطع أيامي وأنفذها بحسرة منه في قلبي تقطعهُ[٢]

فأزمته العاطفية ذات نغمة محزنة واوتار مقطوعة تنزف لحنا حزينا ومفردات تقطر دما من المأساة التي تصاعدت حتى خلقت أزمة أخذت تشعره بالفشل والضعف إزاء حبيبته (التي ملات أنفاسه على عكس ما تربت عليه نفسه ، وهذا الإحساس والشعور بالتناقض عندما يثور على الإنسان تتولد لديه حالة من العنجهية والتمرد)[٣]

إلّا أنّ هذه الحالة اودعت ابن زريق في الهلكة وصرعته وهو يشكو جزعاً في مفرداته مثال (الصدع – البين – الخلع – الحسرة) وهي مفردات تكسب القصيدة مفاهيم ملموسة ، وقضايا تكون منظوراً بين اللفظ والشيء إذ يمكن لهذه المفردات (استدعاء أنواع الاستجابات المرتبطة بالشيء نفسه ، ذلك لأم الألفاظ ما هي إلا رموز للأشياء تدل عليها وتمثلها أصدق تمثيل ، ومن حيث أنها كذلك فإنها قادرة على أن تقوم مقام الشيء كمثير اثناء عدم وجوده)[٤]، وهكذا تنبثق الدلالة من الألفاظ التي (يتضمن مشاعر واحاسيس معينة تعكس صورة صادقة)[٥] ثم لما (كان العقل الإنساني يقوم بترجمة الفكر الكامنة في صور لفظية ينطق بها اللسان معبرا عن مكنونات تلك النفس الإنسانية وما تحويه من أسرار اللغة ذلك الارتباط الوثيق بالنفس الإنسانية تكشف عما بداخلها من معان ودلالات تجاه الموضوعات والاشياء والأشخاص)[٦]

وهذه النصوص في المساحة اللغوية للمفردات تعني مدى الوقوف على المكامن اللغوية للمفردات تعين على تحليل شعر ابن زريق وتفصح عن امتدادات هذا الشعر لغوياً، لا سيما ابن زريق قدم من خلال تلك المفردات خلاصة لغوية ينبثق عن ها فهم جوانب من إبداعه الشعري بخاصة هذه العاطفة الجياشة التي تشارك في بناء وفهم اغترابه العاطفي ، فهذه المفردات لم تأت جزافا ولم تقع عن طريق المصادفة لا سيما في محكمة عاطفته ووجدانه إزاء حبيبته ، وهي مفردات بمثابة شهود في التعبير عن خلجات وتوضيح لمداخل العواطف التي

(١) المصدر نفسه، ٩٨

(٢) المصدر نفسه ، ٩٧

(٣) فن الفخر وتطوره في الادب العربي ، ٦.

(٤) عطية، نوال محمد ، علم النفس اللغوي ، مصدر سابق: ص١١ – ١٢

(٥) المصدر نفسه، ١٢

(٦) المصدر نفسه، ١٤.

افرزت من خلال الألفاظ عن أشياء أو بيان صلة الشكل بالمضمون من دون الفصل بينهما كما يذهب نفر من النقاد ، إذ يقول: (الآن اتيت) (إن الفكرة لا تسبق قط القصيدة أو تصنعها لأنّ القصيدة هي التي تصنع الفكرة وتخلقها)[١]

وهذا لا يعني ان الاتجاه العاطفي في اغتراب ابن زريق يدفعنا إلى صياغة معجم بمفردات الاغتراب العاطفي في هذه الدراسة ، وإنما نقر بشيء من الثقة ان هذه المرادفات بمثابة شهود عما هو موجود من صلة بين ابن زريق وحبيبته وبين ابن زريق وذاته ، وما المفردات إلا صلة مشتركة تغطي هذه الصلات كرسالة صاغها الشاعر البغدادي بغية أن تصل إلى المعنى بها وقد ، وصلت الرسالة فعلا وهزت المشاعر حتى أبكت الرسالة – القصيدة – أبا عبد الرحمن الأندلسي الذي رجا البغدادي – ابن زريق – عطاءه ، ولكن هيهات حتى حز في نفسه فاعتل فمات[٢]، ولذلك استمرت المأساة بعد نشر القصيدة اليتيمة التي اخذت تطرق أبواب الأندلسيين وتودعهم إلى ديار بغداد حيث اهل الشاعر وزوجته ، وإن كان التاريخ لا يسعفنا بشيء من تلك السيرة والأحداث إلا نتفاً لا تسد تغراً في جدار قديم ، وإنما تظل القصيدة اليتيمة تستعطف نفوس الناس وافئدتهم وتستميل المدامع اليها منذ قراها الجمهور في مشرق البلاد ومغربها كأنها أسطورة من أساطير الغرام والعاطفة حتى غدت الأخبار تتهم الحكاية بانها من نسج الخيال ، وان ابن زريق شخصية صنعتها أخيلة الناس (ابن زريق البغدادي ، محمد بن زريق البغدادي ، شاعر عنقائي الوجود لامع الاسم.

والطريف في تاريخنا الأدبي وسيرة الشعراء إنا نجد الغرائب في الروايات سواء عن مشهور أم مدثور ، مثلاً نجد شاعراً كابي الطيب المتنبي واديبا جامعا للكتب مثل ابن النديم صاحب الفهرست ، إذ نجد عالما من عيار أبي فرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) لا يروي سطرا عن معاصره كأبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٣هـ) وقد التقيا أكثر من مرة على ما يرويه أبو من صور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)[٣] ، فيما يروي أبو فرج عن شاعر لص وصعلوك تائه وآلاف من الأشعار والأخبار والاعلام في كتاب الأغاني الذي كان يحمل عشرات الآبال على ظهرها ، أمّا لماذا لم يرو عن المتنبي؟ يظل استفهاما على رفوف مهملة تنتظر الإجابة.

وكذلك هذا ابن زريق الذي اشتهر بهذه القصيدة اليتيمة لقد اغفل المؤرخون ذكر هذا الشاعر ولم يشيروا إليه مطلقاً ولم يذكروا عنه شيئاً، وليس ثمة سبب يحدو المؤرخين إلى إغفال ذكر شاعر له عطاء كهذه وذكروا من لم يأت بغير أبيات لا تعدّ شيئاً إذا قيست بهذه القصيدة ، ولا نريد الإسهاب في سرد الأسباب وهذه الإغفال ولكن يحز في النفس هذا الإهمال.

(١) النقد الإنكليزي الحديث ، ص٧٦ – ٧٧.

(٢) بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٦٧.

(٣) ينظر : الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر ،١٠٨ .

نقول : نحن ندرس الاغتراب العاطفي من خلال القصيدة وما ورد من ذكر للمكان مثل بغداد والكرخ وما اشبه ذلك لنضع بصيصا من نقاط الضوء في طريق التعريف بالشاعر أو بما لمع إليه بين حروف أبياته عسى ان نستقرئ شيئاً ينبثق عنه اثر بيئي أو شهادة تنجي ما فُقد من بعض جوانبه على أقل تقدير ، ومن هنا نقول:

ولبيئة الأسرة اثرها في التكوين العاطفي للشاعر ، وحين تسلط الضوء على بيئة ابن زريق البغدادي ووجود بيئة أخرى رحل اليها ، أي هناك بغداد وهناك الأندلس وهاتان البيئتان تكفيان للإفصاح عن وجود دولتين كل من هما تدعي الشرعية في خلافة المسلمين ، وابن زريق لم يحالفه الحظ في مدينة بغداد فاخذ بزمام راحلته صوب الأندلس عسى يجد لقمة تسد رمقه ، والدولة العباسية دولة تفجر الثقافة وازدها شتى المعارف وقد نضج الأدب حتى كثرت قضاياه وكثرت نقوده.

مصادر البحث:

١.إبراهيم، احمد علي، الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ، بغداد ، ٢٠١٣م.

٢.أبو نؤاس، ديوان أبي نواس ، تحقيق : سليم قهوجي.

٣.الاصفهاني، أبو نعيم, حلية الاولياء ، السعادة – مصر ، ١٩٩٦م.

٤.الاغتراب ، ريشارد شاخت ، ترجمة : كمال يوسف حسين ، مكتبة الملك فهد الوطنية ; الطبعة: ط١; تاريخ النشر: ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م.

٥.بروكلمان، كارل, تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، ج٢، ٢٠١٢م.

٦.تطور الخمريات.

٧.الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر.

٨.الحوفي، احمد محمد، الغزل في الشعر الجاهلي ، ص٤٢٥ ، الخطيب، بشرى، والرثاء في الشعر الجاهلي.

٩.الحياة العاطفية والصوفية.

١٠.رجب ، محمود, الاغتراب سيرة ومصطلح ، ط١، ٢٠١٨ م.

١١.طلبة، منى، ظاهرة الاغتراب في الشعر الوجداني الحديث في مصر، رسالة ماجستير.

١٢. عطية، نوال محمد ، علم النفس اللغوي.

١٣. فن الفخر وتطوره في الادب العربي.

١٤. النقد الإنكليزي الحديث.